Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكن سعد الله ونوس لا يقف عند اللقاء التاريخي بين المثقف والحاكم، بل يتعمق في عيش المثقف إبان محنة كمحنة حصار واحتلال تيمورلنك لدمشق، تلك اللحظة التي دفعت بعالم آخر هو التازلي إلى الاستشهاد، فتعلل المثقف التقني بوعكة لغيابه عن جنازة الشهيد -المثقف العضوي.

ومن المهم لقراءة هذه المسرحية، كما ألح ونوس بنفسه، التبصر فيما يختتم به المؤرخ القديم دوماً فواصله، حيث تغدو حالة بردى أشبه باللازمة، ففي البداية والخطر يقترب يجري النهر ضعيفاً، وتكثر فيه الضفادع وتنتن رائحته، ثم تخف الرائحة بعد المطر. ومع خروج السلطان برقوق إلى غزة باتجاه الشام يجري الماء (في بردى على زيادة). ومع تقدم تيمورلنك من بعلبك إلى الشام ووصول برقوق إليها بدأ (يقوى جريان الماء في بردى). وعند خروج وفد الشام إلى تيمورلنك كان جريان الماء على عادته، لكنه زاد زيادة كبيرة أثناء حصار القلعة، ثم فاض، وبخاصة بعد تغلب الغازين على القلعة بعون من أهل الشام. وعند اكتمال سيطرة الغازي تختفي اللازمة حتى خاتمة المسرحية لتعود في هذه الدلالة على استمرار التاريخ والصراع.: "وكان الماء يتدفق في بردى بزيادة وشدة لم تعهدها دمشق منذ سنوات طوال". وكانت كلمات اللازمة قد تبدلت قبل ذلك فقط حين واجه عسكر السلطان برقوق عسكر تيمورلنك في المرة الأولى وهزموهم، فغدت خاتمة فاصل المؤرخ: (وما زال البرد شديداً والأرض موحلة من الثلوج والأمطار).

وعلى إيقاع النهر -التاريخ تحدد هذه المسرحية انتماءها- كما كتب عنها عبد الرحمن منيف- إلى ذلك النوع من الأدب الذي يطالب بإعادة النظر، ليس فقط بالقناعات التاريخية السائدة والمستقرة، بل ويطالب أيضاً بمناقشة المواقف الأخلاقية التي يجب أن تتسم بها الثقافة، العلاقة بين المعرفة والسلوك، دور الثقافة والمعرفة، وهل يجب أن تكون في خدمة القوة والسلطان أم في زيادة وعي الناس وصقل أرواحهم.

وعلى الإيقاع إياه يقوم أيضاً الحوار الذي ينشده الكاتب -في حواره مع ماهر الشريف- بين وعي مرحلة تاريخية تقدم بكل كثافتها وإشكالياتها ووقائعها في الزمن الذي تمت فيه، وبين وعي الواقع الراهن الذي يحيا به الكاتب والقارئ معاً. ولذا تكون -مثلاً- بيروت 1982 في البال لدى قراءة أو كتابة هذه المسرحية. ولذا يتحين بالهنا والآن قول ريحانة: (كلهم تتار يا شعبان. قومنا تتار والتتار تتار).